الذكرى الخالدة

أقصوصة مصرية

بقلم الأديب م. عبد القادر المازني

— هل تؤمن بالشياطين يا كامل ؟

فنحى كامل الصحيفة عن وجهه ودقق النظر قليلاً فى وجه زوجه ثم ابتسم وعاد يطالع فى الصحيفة دون أن ينطق بلفظ

فاغتاظت تحية من صمته وحدجته بنظرة فاحصة ثم قالت بحدة :

— إن لى ساعة أتكلم فيها وأطرق شتى الموضوعات وأنت ساكت لا تكلف نفسك غير الابتسام فماذا دهاك ... هل قطع لسانك ؟

فلم يفه كامل بكلمة أيضاً بل راح يتابع قراءته فى صمت وسكون . فانتفضت تحية واقفة واختطفت الصحيفة من يده وهى تقول :

— يجب أن تعرف أن من أبسط قواعد اللياقة أن ترد على محدثك

فتجهم وجه كامل ثم نهض واختطف طربوشه من فوق المنضدة وهم بالخروج ، فأسرعت إليه تحية وأمسكت يده وبسمت فى وجهه وهى تقول :

— هل أغضبتك يا كامل ؟

ثم أصلحت له سترته وتناولت وجهه بين يديها وطبعت على فمه قبلة وقالت :

— تستطيع الآن أن تخرج

بيد أن « كاملاً » لم يخرج بل تناول زوجه بين ذراعيه وضمها إلى صدره بحنان عظيم ثم قال بعد أن رد لها قبلتها

— هل يروق لك أن تشاهدى السينما اليوم

فابتسمت تحية وقالت :

— إنى لا أرفض لك طلباً يا كامل

ليس يغضبنى أن تأمرنى يا كامل فأنت رجلى و ... حياتى

فابتسم كامل بإشراق وقال :

— يحببنى فيك يا تحية لباقتك وجمال ألفاظك.

فازدادت به تحية التصاقاً وقالت :

— لقد أسعدتنى يا كامل وصنعت كل ما يرضينى ويقر عينى ، وكنت دائماً مثال الرجل الكامل والزوج العطوف . ولقد استطعت أن تفتح ذلك الصندوق المغلق وتتمتع بما فيه ، فحى لك يا كامل هو صدى عطفك ورعايتك ، وهو صدى حنانك وحدبك علىّ فأنت صاحب الفضل ...

ثم ألقت برأسها إلى الخلف فى تدلل وعطفت تقول :

— والمرأة يسعدها فى الحياة شيئان :

قلب الرجل ورعايته ...

وقد فزت بهما معاً . . . فماذا أطلب بعد ذلك ؟

فانحنى عليها كامل وقبلها ثم قال :

— تطلبين يا تحية أن يديم الله بيننا الحب والوفاق ؟

فتشبثت به كطفلة وقالت :

— نعم يا كامل ... هذا ما أطلبه دائماً

فاشتد كامل فى احتضانها وقال وهو يلثم فاها :

— إنى سعيد

فقالت تحية على الفور :

— ليس أسعد منى ... ولكن ...

فسألها كامل بلهفة :

— ولكن ماذا يا تحية ...

فتطلعت تحية إلى عينيه ، وأطالت فيهما النظر . ثم قالت :

« لست أدرى يا كامل ، ولكنى واجفة القلب ونفسى تحدثنى . . . ولكن لا . . . إنه الشيطان الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس ... ولكنه شيطان بارع ، فقد استطاع أن يدخل فى روع تحية وهى التى لا تؤمن بكلام الشياطين بأننا نحن الشياطين . . . »

فضحك كامل وقال :

— وهم ؟

فقالت « تحية » وهى تضحك :

— ملائكة يا حبيبى !

فقال كامل :

— أنت تكثرين اليوم من الحديث عن الشياطين فماذا هناك . . . ؟ هل صادفت شيطاناً . . . ؟

— ربما ! ...

ثم أفلتت من بين ذراعيه برشاقة وخفة ، وركضت إلى مخدعها ... فتابعها كامل بنظراته حتى اختفت . . . ثم ابتسم فى نفسه ابتسامة الرضى والشكر !

* * *

وقف كامل قبالة النافذة يتسلى بالنظر إلى الطريق حتى تعود زوجه

وطالت وقفته ولم تعد « تحية » ولم يكن من عادتها الإبطاء أو التلكؤ فخطر له أن يستحثها فخف إليها وهو ينادى ويتصنع الغضب :

— تحية . . . ألا تنوين الخروج . . . ما هذا الإبطاء ؟

ولم يكد يطأ باب الحجرة حتى وقف مشدوهاً ..

كانت تحية واقفة وسط الحجرة وفى يدها ورقة تقرأ فيها والدموع تتساقط من عينيها بغزارة . وكانت مصفرة الوجه بادية الإعياء ، تتطلع بين كل لحظة وأخرى إلى فراشها الذى رقد فيه طفل حديث الولادة

واستطاع كامل أن يتكلم فقال :

— ما هذا ؟

فأفاقت تحية على صوته والتفت إليه ببطء وأطالت النظر فى وجهه ثم حولت وجهها عنه فلم يطق كامل صبراً فعاد يسأل بلهفة :

— قلت ما هذا ...

فقالت تحية دون أن تنظر إليه :

— ابنك

فحطا إليها وهو يقول بجزع :

— ابنى ... مستحيل

فارتسمت على شفتيها ابتسامة حزينة وقالت :

— هل عودتك تحية الكذب ؟

— لا ولكن مستحيل أن يكون هذا ابنى ... من أين جاء؟

— إنه هدية فخذ واقرأ

ودفعت إليه بالورقة التى كانت فى يدها وأسرعت بالخروج من الحجرة، فنشر كامل الرسالة وراح يقرأ:

سيدى :

إن هذه مفاجأة لم تخطر لك على بال؛ ولعلها الأولى من نوعها ... وهى أيضاً جرأة، أو إن شئت فقل إنها مغامرة جريئة . وأصح من هذا وذاك فهو عدل وإنصاف، وقد تدعوه انتقاماً ولكنه انتقام فيه رحمة ... قد تخسر بسببه كثيراً وقد لا تخسر شيئاً والواقع أنك ستكسب ابنا ...

ولا أظن أنه يزعجك كثيراً يا سيدى أن تنظر فى وجه ابنك فإنه يشبهك كثيراً بل هو صورة طبق الأصل منك .

سيدى : اسمح لى أن أعيد على مسامعك بعض ما تعرف أو بعض ما تناسيته وتجاهلته. ولست ألومك، وكنت لا أحب إزعاجك ولكن الظروف القاسية والأيام المصيبة هى التى أوحت إلى بهذا الذى صنعت ، وهى التى اضطرتنى أن أبعث إليك بطفلك وثمرة جرمى وجرمك فى سكون وسلام .

واسمح لى ياسيدى أيضاً أن أرتد إلى الماضى قليلاً لأنشر أمامك بعضه فقد تلتمس لى العذر كما التمسته لك، وقد تشفق علىّ كما أشفقت عليك وعملت على إخفاء سرك وتلافى ما قد ينتج من الكشف عنه وإذاعته .

نشأت فقيرة، ولم يكن الفقر يضيرنى فقد كنت غنية بكرامتى وشرفى . ولقد انحدرت من سلالة كريمة أبى الفقر عليها ، واستطعت فى حياة أبى أن أنال قسطاً من التعليم ، ولكن الأيام قست على بعد موته، والأيام أكثر قسوة على الفقير، فالاحتياج ذلة والخصاصة ضعة . ولما اشتد بى السغب لم يكن بد من العمل لكسب قوتى وقوت أمى المريضة، فالتمست طرق العمل فسدت فى وجهى منافذه ... ثم ساقتنى الأقدار إليك فأشبعتنى بعد جوع وخلعت على رداء عطفك وكرمك فتوردت بعد اصفرار ، وأحسست الحياة تدب فى جسمى مرة أخرى ؛ فلعنت إذ ذاك الفقر وما يجره على الناس من شرور .

واستطبت الحياة فى بيتك . وكانت زوجك ، عافاها الله ، داعة الرعاية لى والعطف علىّ . وكانت كريمة فى معاملتى فلم أشهد منها قسوة ، ولم أسمع منها كلمة نابية، فحفظت لها الجميل وشكرتها فى نفسى وتفانيت فى خدمتها ورعايتها . وكنت فى كل يوم أشهد منكما ضرباً جديداً من ضروب الرعاية ولونا جديداً من ألوان العطف والحنان فاستطعت أن أشعر أنى فى بيتى وبين أهلى ، وتيقظ قلبى فأحببتكما ، وأخلصت لكما .

وفى يوم سافرت سيدتى إلى الأسكندرية لتعود أمها المريضة وكان قلبى كان يحدثنى بما سيحدث لى

فقد فكرت فى السفر إلى بلدتى لأقضى مع أهلى المدة التى تقضيها سيدتى فى سفرها ولكنك تشبثت بى وألححت علىّ فى البقاء وازددت رعاية لى وعطفاً علىّ فرأيت إرضاء لك أن أظل فى خدمتك حتى تعود زوجك ...

وفى اليوم الموعود أو فى يوم الجريمة كما أحب أن أسميه عدت إلى بيتك متأخراً ، وكنت ثملاً ... فاشتهيت امرأة ولم تجد أمامك غيرى ، فنفرت منك وحذرتك العاقبة ، ولكنك لم تستمع لى . والواقع يا سيدى كنت كأنك تضرب فى قلعة محطمة لا تقوى على المقاومة . لم أكن محصنة يا سيدى فسرقت منى فى لحظة أعز ما أملك وأثمن ما كنت أتحلى به

وراحت السكرة مع الصباح

وها لك ما صنعت

وكنت أنتظر أن تشفق علىّ وتنظر فى أمرى بحكمة وتعقل ، ولكنك تسرعت فبادرت بطردى من البيت فى غير شفقة ولا رحمة ولا حتى ترضية ، فقد كان كل همك أن تبعد عن نفسك ذلك الكابوس الذى يجثم على صدرك ويضيق أنفاسك

وعلى الرغم مما حل بى كنت أتشبث بالشرف الضائع والكرامة المهيضة والعزة المفقودة فرحت أكافح فى الحياة وأتستر على نفسى جهد الطاقة حتى أذن لى الله فوضعت

ولقد حرت فى أمرى بعد هذا يا سيدى . أين أخفى طفلى ... وكيف أربيه إذا استطعت أن أخفيه وأنا الفقيرة المعدمة ، ولم أجد وسيلة غير الالتجاء إليك ورأيت أن خير طريقة هى أن أهدى إليك طفلك تفعل به ما تشاء

(فاعتزمت التسلل إلى بيتكم وفى غفلة منكم أدخل من باب الخدم وأترك لكم الطفل)

فتستطيع يا سيدى أن تعلن بنوته وتسهر عليه وترعاه فهو ولدك وأحق برعايتك وعطفك ، وليس دخيلاً عليك كما قد تتوهم لأول وهلة ، وتستطيع كذلك أن ترسله إلى ملجأ أو إلى الجحيم فلست أبالى ولن أكون أكثر عطفاً عليه منك

ولقد تحملت يا سيدى نصف الجرم فتحمل أنت نصفه الآخر . تحمل مسؤولية عملك وادفع ثمن جرمك واحمد الله على الستر

وحسبى أنى فقدت مكانتى فى الهيئة الاجتماعية كفتاة شريفة؛ وحسبى كذلك أنى سأقضى حياتى الباقية محرومة مما حلله الله فلست أعرف رجلاً يطيق امرأة فسدت ، فالرجال يا سيدى لا يغتفرون جرم المرأة ولا يسعون لإصلاح ما أفسدوا ؛ ولن أصلح أنا الكون أو أغير شيئاً فى طبيعة البشر فحسبى هذا ...

ولست أستطيع أن أسمى لرزق ومعى طفل

وقد لا تقبل سيدتى أو تستكثر على نفسها أن تتبنى ابن خادمة ولكنه ابنك أيضاً . فابذل يا سيدى المستحيل فى سبيل إقناعها ودعها تتبناه ، ولا تحرم هذا الطفل البرىء من أبويه معاً ، ويكفى أنى حرمته وليس لهذا الطفل الذى جئنا به إلى الدنيا من ذنب ، فلا تقض عليه باليتم والتشرد وكن حكيماً يغفر الله لك وادع لى يا سيدى بالرحمة فما أشد حاجتى إليها

وسامحنى فوالله ما أردت بك شراً ولا رمت انتقاماً وإنما هو الفقر وهي الحاجة ثم هى الحكمة التى تقضى بذلك خادمتك (بسيمة)

انتهى كامل من تلاوة الرسالة فطواها ثم عاد فنشرها أمام عينيه مرة أخرى وراح يقرؤها بشىء من التأنى حتى إذا أتى على آخرها تقدم من الفراش بخطى متئدة وكانت تلوح على وجهه آيات الجزع والمرارة ، ولم يستطع أن يطيل النظر فى وجه ابنه الذى علا بكاؤه فى تلك اللحظة فدار كامل على عقبيه بسرعة وهم بالخروج من الحجرة ؛ فإذا بتحية تدخل وهى تقول :

— ألم تسمع بكاء الطفل ؟

ثم تقدمت من الفراش وحملت الطفل وأسرعت بالخروج فتهالك كامل على مقعد وغاب فى لجة الفكر

لقد كانت حقا مفاجأة لم تخطر له فى بال ، بل لم يكن يظن قط أن هذه الخادم الريفية التى كشفت عن نفسها بوضوح فى هذه الرسالة تستطيع أن تدرك كل هذا وتستطيع أن تطعنه هذه الطعنة التى أصابته فى الصميم

إنه أجرم ... هو لا ينكر هـذا ... الآن على الأقل . ولـكن هناك ما يقلقه أكثر من كل هذا فإنه يستطيع أن يتخلص من هذا الابن بأية وسيلة . نعم ... هذا مستطاع ... وإنما زوجه ... هو يخشى أن يفقدها . وليس من شك عنده فى أنه فقد ثقتها به . ولـكن ... هل يمكن أن تغتفر له ... ؟ هذا مستحيل . فالمرأة تغتفر للرجل كل شىء وتنسى له كل إساءة ... إلا الخيانة

بيد أنه لم يخنها ، فقد كان ثملاً وحدث ما حدث فى ساعة كان فيها فى غيبوبة لا يعى ما يصنع ولا يستطيع أن يتمالك زمام نفسه ... ولـكنها غدت خيانة فى نظر زوجه — سواء أكانت عمداً وبقصد ، أم سهواً وبلا سابق تدبير — فالجرم فى الحادثة وإن اختلفت طرق إتيانه واحد . ولن يشفع له سكره أمام امرأته فهو جرم آخر ظالما ردته عنه ...

وأحس كامل بالدماء تغلى فى عروقه فنهض عن كرسيه وخرج من الحجرة وهو مطأطئ الرأس ، يتعثر فى مشيته تعثر الملتاث

ودخل حجرة الاستقبال فألفى زوجه جالسة والطفل على ركبتيها يغط فى نوم عميق . وكانت تحية هادئة هدوءاً عجيباً ؛ ولم يكن يظهر على وجهها ما يشى بما فى نفسها . وكان سكونها هذا يزيد فى اضطراب كامل . فلو أنها ثارت وأرعدت وتوعدت لاستطاع أن ينفس عن نفسه بعض ما تعانى وقد يسعفه الخيال بما يهدئ من ثائرتها ، ثم إنه شهد ما أذهله ، فلو كانت غيرها لحاولت قتل هذا الطفل بدلاً من الحنو عليه وتهنئته . ولقد كان يعتقد أنه يفهم زوجه جيداً . أما الآن فإنه لم يعد يفهم شيئاً من تصرفاتها ...

— فما هذا يا تحية ؟

نطق كامل بهذه الـكلمات دون وعى فنظرت إليه تحية نظرة هادئة ثم قالت بعد لحظة :

— ماذا ... هل كلمتنى ؟

فاضطرب كامل وهو يقول :

— كنت أظنك ستقذفين بهذا الطفل من النافذة ...

فتأملت تحية فى زوجها برهة ثم قالت :

— أقذف به من النافذة . . . وما الداعى . . . ما ذنب طفل برىء لا حول له ولا قوة . . . وما الذى يزعجنى منه حتى أقدم على هذا العمل . . . ؟

فتطلع كامل إليها باستغراب وقال :

— لست أفهمك يا تحية

فابتسمت تحية بمرارة وقالت :

— وهل من الضرورى أن تفهمنى . . . ألا يحسن أن تسكت . . . ألا تخجل يا كامل . . . كيف تتكلم . . . وبأى وجه . . . وتنهدت تنهدة عميقة ثم استطردت :

— لقد فنيت فى حبك يا كامل وأخلصت لك فماذا كانت النتيجة . . . وبماذا جازيتنى . . . مالك ساكتا . . . سأقول لك . . . قابلت حبى وإخلاصى لك بهذا الجرم وجازيتنى بالخيانة ووصمتنى بالعار وهبطت بى إلى الحضيض . . . كان هذا جزائى وكم وددت لو مت قبل أن أشهد هذه الخاتمة

ويا ليتها كانت فتاة لها مكانة . . . أية مكانة . . . إذن لالتمست لك العذر . . ولكنها خادم . . ما أكبر الفرق بين كامل الذى عرفته وكامل الذى أعرفه الآن . . .

فانتفض كامل واقفاً وقال :

— تحية . . . أرجوك

فقالت تحية بغضب :

— اسكت

فانحط كامل على كرسيه وقد اتقد وجهه . وعطفت تحية تقول :

— إنى مسرورة إذ ألحظ على وجهك دلائل الخجل ، ومذهولة إذ أشهد فى عينيك آيات الغضب . ترى أينا أحق بالغضب . . . ومع ذلك لماذا نتحدث فى هذا ، فلتغضب ولتخرج عيناك فماذا يهم . . . هل تظن أن لك فى نفسى تلك المكانة القديمة . . . وهل تحسب أنى إذ أراك تغضب أهتم بأمرك كما كنت أفعل قبلاً . . . ؟ لا يا كامل ، لقد انتهى كل شىء ولست آسفة ، فوالله لا آسف على فراق من يخوننى ويعبث بكرامتى

فهتف كامل دون وعى :

— تحية . . .

— مالك مذهولا . . . ألم تتوقع ذلك . . . هل زين لك عقلك أنى أقنع بمخادع . . . برجل غادر ماتت فى نفسه الفضيلة . . . هل تظن ذلك ؟ . . . ليس هاهنا مكانى يا كامل ولكن هاهنا مكان تلك الخادم التى استهوتك فاستعضت بها عن زوجك . . . هنا مكان بسيمة تلك الفتاة التى شردتها وكانت فى خدمتك وفى كنفك وتحت رعايتك . . . تلك التى قضيت عليها بالموت وقذفت بها إلى الشارع . . . اذهب إليها وادعها لبيتك

وكأنما وخز كامل بسكين فوقف وهو يصيح :

— أتزوج بسيمة . . .

فقاطعته تحية بقولها :

— وما الذى يمنعك . . . هل تأنف من زوجها الآن . . . ولماذا لم تأنف من القضاء عليها . . . لماذا لم تترفع عن مجرد النظر إليها والتفكير فيها ؟

فقال كامل بإعياء :

— أقسم لك يا تحية أنى لم أخنك ولم أفكر قط فى خداعك ... أنت تعرفين ذلك

— إنى لا أتحدث الآن عن الخيانة والخداع فقد فرغت منهما ولا تتوقع منى يا كامل أن أثق بكلامك فقد ضاعت هذه الثقة وتلاشت

إنى أراك لأول مرة وإنى أتأمل فى هذا الرجل الذى استطاع أن يخدعنى عاماً كاملاً ... لقد غررت بى وكذبت علىّ ولست تستطيع أن تعاود هذا مرة أخرى فأنا الآن مبصرة وإنى سعيدة بما تكشفته فيك ... وهى أيضاً تجربة

وكان كامل ما يزال واقفاً فاقترب من زوجه وهو يقول :

— إسمعى يا تحية ... لقد قلت ما فيه الكفاية ويكفينى الآن تبكيت ضميرى فلا تزيدى فى آلامى

فنظرت إليه تحية باستغراب وقالت :

— ضميرك ... أين هو ... أين كان وقت الجريمة ولماذا لم يبكتك ساعة الخيانة وفى ساعات الكذب والنفاق ... أين هذا الضمير الذى تتحدث عنه ...؟ لا يا كامل ... أنت واهم فليس لك ضمير

— أرجوك يا تحية أن تكفى فإنى لا أتحمل زيادة

— أنت لا تتحمل الكلام فماذا أقول أنا .. وماذا تقول تلك الضحية المسكينة ... تلك الفتاة المشردة ... كيف احتملت هى الجريمة ... هل عنيت بها ... هل فكرت فى مساعدتها والأخذ بيدها حتى تستطيع أن تنهض على قدميها مرة أخرى وتواجه الحياة من جديد ... لم تفكر فى شىء من هذا وكان أول ما فكرت فيه أن تقذف بالطفل « بابنك » من النافذة . هذه هى الرحمة كما تفهمها وهكذا تستطيع أن تقدر الأشياء .

فرجع كامل إلى مقعده ، وتهالك عليه دون أن ينطق بلفظ . فقد أحرجته زوجه حتى أنه لم يستطع المقاومة ، أو حتى الدفاع عن نفسه دفاعاً مشرفاً ، وهو المحامى اللبق .

لقد أخذ على غرة منه ، ولكنه لا يستطيع أن يسكت ؛ فالمقاومة واجبة . ولكن ما الفائدة ؟ إنه لو فعل ذلك يفقد زوجه ، وهو أحرص ما يكون عليها ! ... إذن ! فوسيلته الوحيدة هى الاعتذار ، وهو يعلم جيداً أن تحية طيبة القلب رقيقة المشاعر ؛ وليس من شك فى أنها ستصفح إذا أحسن الاعتذار

ورفع رأسه ، وتحول بأنظاره إلى زوجه فألفاها تدقق فيه النظر . فتصاعد الدم إلى رأسه ، وسرت البرودة فى مفاصله ، واهتز قليلاً وهو يقول :

— لو كنت شربت دناً من الخمر لما شعرت بما أشعر به الآن !

فأخفت تحية ابتسامة كادت ترتسم على شفتيها وهمت بالكلام ، ولكن كاملاً سبقها إليه فقال :

— إنى أقدر شعورك يا تحية وأستطيع كذلك أن أقدر مبلغ ما سببته لك من الألم . ولست ألومك على ماقلت لى فإنه صدى هذا الألم وردفعل بافوجئت به

وكانت تحية تستمع إليه فى سكون ، فاستطرد كامل وقد اطمأنت نفسه قليلاً :

— لقد أجرمت يا تحية وصنعت ما سيظل وصمة فى جبينى إلى الأبد ، ولكنه جرم لم يسبقه تفكير ولم أتعمده . ولقد عاشت هذه الخادمة بيننا شهوراً

عديدة فلم تستهوني مرة ولم تخطر لي على بال، ولكنه الظرف السيئ ... وحكمة القدر . بل هذا ما قدره الله لي وما كتبه على جبيني قبل أن أولد وأخرج إلى الحياة . الأقدار هي التي تسيرنا يا تحية وما نحن إلا دمى تتحرك في الاتجاه الذي تريده لنا وترسمه لخطواتنا. ولو استطعنا أن ندفع عن أنفسنا الشرور لفعلنا ، ولكننا لا نفكر في دفعها عنا إلا بعد أن نحترق بنارها ونتلظى في سعيرها لأننا ضعفاء وإن أغرتنا القوة التي نتوهمها في أنفسنا. ولو تأملنا قليلاً لأدركنا أنها قوة الشيطان الذي يركبنا فيسوقنا إلى الضلال

فقالت تحية :

— إني لا أستسيغ هذه الفلسفة ودعني بريئة من الأقدار التي يعتذر بها كل من تركبه الغواية . إني لا أنكر يد القدر فقد جمعتني بك

— تحية ... كوني منصفة

فعادت تحية تقول :

— لما كنت في المدرسة سمعت مرة مدرسة تقول : لا أمان للرجل ... فاحذرنه

فقال كامل :

— وسمعت أنا مثل هذا القول عن المرأة ... في المدرسة أيضاً

فقالت تحية تكمل كلامها :

— وقلت لنفسي يومئذ ... لاحق لهذه المدرسة أن تقول هذا وقلت لعلها مخطئة أو لعل حادثاً ما أحفظ قلبها على الرجل

— قلت ذلك أنا أيضاً ولكني لما خرجت إلى الحياة عرفت أن المرأة سر غواية الرجل

— يا سلام !

— نعم ... هذا حق لا سبيل إلى الجدال فيه

— وكنت أستثني من هذا الحكم بعض الرجال ، ولكني شهدت ممن ظننتهم ملائكة ورسل هداية وفضيلة مالا كنت أستطيع أن أشهده من شيطان ...

وسكتت لحظة عادت بعدها تقول :

— لست أنكر يا كامل أنك أسعدتني وقد قلت لك ذلك من ساعة ، ولست أنكر أني أحببتك ... ولكنك أضعت يا كامل في لحظة ما ادخرته في عام ، وهدمت ما بنيته في عام الخطوبة وعام الزواج ، بل خلعت شجرة الحب التي كانت آخذة في النمو والتفرع من جذورها ... نعم ... قضيت على هذا الحب الذي كان مفخرتي ومفخرتك

وكنت أحب أن أنصفك كما طلبت مني منذ لحظة ، وكنت أود أن ألتمس لك العذر ؛ ولكن كيف أستطيع ذلك ... إني آسفة يا كامل إذ أقول لك إني لا أحس نحوك الآن بحب ، ولكني لست أكرهك ولست ألعنك . وكنت أحب أن أنسى لك هذه الخطيئة ولكن قلبي يقف حائلاً بيني وبينك. إني أصارحك بكل هذا لأني لا أحب الخداع وأربأ بنفسي عن الخداع والغش، وكنت أستطيع أن أخدعك وألعب بك كما يلعب الطفل بالكرة ، وأظنك تدرك أن المرأة إذا قصدت التغرير ، وإذا شاءت الانتقام

لا يستطيع أى رجل على وجه الأرض أن يقف أمامها أو يسد عليها طريقها . كنت أستطيع الانتقام منك يا كامل ، وكان يسهل علىّ أن أغشك وأخدعك وأسود عيشك ، وأقلب سعادتك جحيماً ، وأريك قرص الشمس فى حلكة الظلام ، ولكنى أحببتك يوماً ، وسعدت بقربك زمناً ، ولم تصنع منى فى طول تلك المدة التى قضيتها معك ما أنكره فيك .

كنت نعم الزوج ونعم الرفيق ، ومثال الرجل الكامل — ولو كان على غش — فأنا أحفظ لك الجميل الذى أحب أن أرده لك فى ساعة بأسك حتى لا أكون مدينة لك بشىء .

لقد انحدرت يا كامل من سلالة طيبة وتأصل فى عائلتى الكرم وامتزجت بنفوسهم الطيبة وامتلأت قلوبهم بشتى العواطف السامية النبيلة ولست أحب أن أخرج على عائلتى فى هذا وأشذ عنهم فى حب الفضيلة والخير .

وستكون حياتى معك يا كامل حياة امرأة تجد فى ذكرى حبها سلوى لها وبلسما لجراحها وتجد فى رعاية طفل زوجها إيفاء لدين عليها — فى عنقها — وكثير من الناس يسعدهم قدرتهم على رد الجميل فى وقت الشدة والبأس وأنا منهم .

وكان كامل يعجب من هذا الحديث الطويل ولم يشأ أن يقاطع امرأته ويسد عليها طريق الفضفضة . فلما سكتت وطالت فترة الصمت بينهما لم يجد مفراً من الكلام فقال :

— هل تشكين فى حبى لك يا تحية ؟

— ليس يعنينى حبك الآن يا كامل فحبنى إن شئت ، واكرهنى إن شئت ، بل اصنع ما تجده خيراً لك وما قد يعوضك عن حبى وعن قلبى .

وحب غيرى إذا أردت فلن ألومك ولن أحقد عليك . وابحث عن قلب آخر يحنو عليك ويسعدك ولكن ، لئن فقدت فى زوجك حبها وقلبها فلن تفقد رعايتها وعطفها .

كانت الصدمة شديدة الوقع على نفسى وعلى قلبى فلا تستغرب أن يحدث هذا كله . ليست لى تجارب فى الحياة ولم أحب غيرك . ولو كان الأمر على عكس ذلك لخفت على نفسى الصدمة ولكنى كنت فتاة غريرة ساذجة وضعت أملى فيك وكرست حياتى لك ورضت نفسى على حبك والوفاء لك . . . كنت مجنونة بك تائهة فى خضم عاطفتى لا يملأ قلبى سوى حبك ولا يخطر ببالى سواك ، ورسمت لك فى نفسى صورة تغاير صور البشر ورعيتك بكل ما أستطيع أن أرعاك به ووهبتك كل ما تستطيع امرأة أن تهبه لرجل ووضعت فيك ثقتى . . . كانت هذه سيرتى معك فهل تستغرب بعد الذى حدث إذا تلاشت كل هذه الصور وانتسخت العاطفة وحدث الصد

قد أعود فأحبك وقد لا أحبك أبداً

فوقف كامل واقترب من زوجه وقال :

— إنى فى حاجة إلى العطف يا تحية ، ولو كنت تحسين ما أعانيه من آلام لأشفقت علىّ بل لأحجمت عن كل ما قلت . . . إنى آمل يا تحية فى المستقبل ،

وآمل فى استطاعتى التكفير عن خطيئتى وسأكون لك كما تحبين وترضين .

— أستطيع أن أفهم هذا ولكن ليس الآن... المستقبل بيننا يا كامل ، ولن أقاوم نفسى فى حبك إذا كان لحبى لك رجعة .

وسكتت برهة ثم قالت :

— سأنبنى هذا الطفل وسأرعاه ؛ وسيكون كولدى وفلذة كبدى . ولست أريد من هذا تبكيتك أو تذكيرك بجريمتك دائماً فليست هذه طريقتى ولكنه سيكون لى أنا الذكرى الخالدة ... ذكرى خيانة زوجى لى

فجلس كامل وهو يقول :

— ما أطيبك يا تحية وما أكرمك

— لست أعد هذا كرماً وليس هو من الطيبة فى شىء، ولكن الحكمة كما قالت بسيمة تقضى بذلك، ثم إنى أريد من هذا الطريق أن أفى لك بوعدى . . هذا كل ما هنالك

فقفز كامل وهو يقول :

— دعينى أقبلك يا تحية

فأشارت إليه بيدها وهى تقول :

— لست أحب قبلاتك الآن يا كامل فاحفظها لولدك ... وبهذه المناسبة ماذا نسميه ؟

— نعم ... ماذا نسميه ... فهمى ... على ... أى اسم

فقالت تحية :

— إنى لا أتنازل عن تسميته بكامل، فإنى أريد أن يكون كاملاً ... ليس فى كمال أبيه ولكن من ضرب آخر سأدله عليه وأرشده إليه، وسأبث فى نفسه نزعة أمه ، وأقصد نفسى فقد صرت أمه

تعال يا كامل وقبل ولدك .. وأقسم لهذا اللاك بأنك ستجعل نفسك وحياتك لخدمته وتربيته

فقام كامل وانحنى على الطفل وطبع على جبينه قبلة أبوية تفيض بالعطف والحنان. ثم لما هم بالارتداد عنه قالت تحية :

— خذ أيضاً قبلة أمه ... منه

فابتسم كامل وأطاع .

م . عبد القادر المازنى

كتاب النقد التحليلى

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

هو أول كتاب فى اللغة العربية عالج النقد الأدبى بالطرق العلمية المؤدية ، والمقاييس المنطقية المنتجة . بناه المؤلف على نقد كتاب (فى الأدب الجاهلى) للدكتور طه حسين، ولكنه استطرد لدرس مسائل مهمة فى قواعد النقد وأصول الأدب ومناهج البحث حتى جاء الكتاب مرجعا فى هذا الباب ونموذجا فى هذا الفن . وهو فى الوقت نفسه يغنى القارئ عن كتاب (فى الأدب الجاهلى) لأنه لخصه تلخيصاً وافياً .

يقع فى ٣٢٦ صفحة من القطع المتوسط
وثمنه ١٢ قرشا خلاف أجرة البريد
ويطلب من ادارة الرسالة